مجلة المنتدى الأكاديمي (العلوم الإنسانية)
المجلد (8) العدد (2) 2024
ISSN (Print): 2710-446x , ISSN (Online): 2710-4478
تاريخ التقديم: 2024/07/06 ، تاريخ القبول: 2024/07/16، تاريخ النشر: 2024/08/04

الإعراب بين الوهم النحوي والواقع اللغوي

هدى محمد قريرة
أستاذ مشارك في النحو والصرف، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة طرابلس، ليبيا
عاطف فضل محمد
دكتوراه في علم اللغة، أستاذ جامعي سابق، يعمل في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان، الأردن.
بريد إلكتروني: Ateffadel_jo@yahoo.com

المستخلص:

ساهمت جهود النحويين الكبيرة بصورة إيجابية في وضع قواعد النحو والإعراب، وهذا لا يمكن لأحد إنكاره. ولكن يمكننا القول: بأنّ ثمّة أنماطًا من هذه الأساليب قد اتّجهت اتّجاهًا عقليا في طريقة تناولها وإعرابها، وغرقت في فرضيات رياضية عقلية، ممّا يدفعنا إلى القول بأنّه (إعراب لا منطقي).

وهذا نظر جديد، وهو لا يعني التمرّد على القديم؛ إذ القِدَم والجِدّة أمران نسبيان، والنظرة التجديدية تقوم على النظر في الرصيد النحوي بخاصّة واللغوي بعامّة، وكذا الحال بالنسبة إلى الضرورة التيسيرية للنحو، فهي ذات صلة وثيقة بالأصالة التي لا تعني التقوقع على القديم وحده والاكتفاء به، وترفض كلّ ما هو جديد، والخطير في الأمر أنّ بعض العقول أصابها التّكلّس؛ إذ تقبّلت كلّ ما هو قديم، وتمترست عنده، وبعض آخر رفض القديم وانزلق مع الحديث بكليته بغثّه وسمينه، فالتقوقع على القديم وحده تكلّس وجمود، والأخذ بالحديث وحده انسلاخ وهروب.

ويهدف إلى الإجابة عن سؤال مفاده، هل النحو وسيلة أم غاية في ذاته؟ فإذا كان غاية في ذاته، فللنحويين أن يضعوا ما يشاؤون من قواعد تعتمد المنطق الرياضي. وإذا كان وسيلة، فما الهدف من هذه الوسيلة؟

سيتناول البحث عددًا من الأساليب النحوية وفْق منهج وصفي لتحليلي، وهو منهج يصف الظاهرة اللغوية كما هي، ثمّ ينظر في رأي النحويين فيها، ويحلل تلك الآراء، ليصل إلى ما وسمه بالإعراب اللاواعي في هذه المسائل دون ليّ لتلك الآراء.

يحمل البحث عددًا من النتائج أهمّها نتيجة مهمّة جدًّا، مفادها أنّ النظر الجديد أو المتجدد للقضايا النحوية ممكنة لا ممتنعة، وهي تتأتّى من التعامل الواعي مع القواعد النحوية، للوصول إلى آفاق واسعة في الدرس اللغوي، تنبثق عنها رؤًى تُسهم في تسهيل القضايا النحوية.

كلمات مفتاحية: النحو، الإعراب، إعراب لا منطقي، وهم نحوي، واقع لغوي.

مقدمة:

بذل اللغويون والنحويون جهودًا جبّارة في وضـــع قواعد اللغة والنحو، صـــدر عن هذه الجهود كتب كثيرة تمثّل محطات مفصلية في تاريخ اللغة والنحو، ثم شروح لهذه الكتب، وشرح لهذه الشروح؛ ممّا أدّى إلى تضـــخم المادة، وكثرت الاختلافات في توجيه كثير من المســـائل النحوية، وما كتاب الإنصاف لأبي البركات الأنباري عنّا ببعيد.

والذي يبدو أن الإعراب هو عماد العربية، وهو ما عليه أئمة اللغة النحويون في مصـنّفاتهم؛ إذ ربطوه بالمعنى ربطًا وثيقًا، فكل كتب النحو فيها كلام – يطول حينًا ويقصر حينًا آخر– عن الإعراب. وكذلك هناك بحوث ودراسات تناولت الإعراب بصورة عامّة، ومنها الوظيفة النحوية وأثرها في الإعراب بصورة خاصّة.

وترتّب على هذا أن صار الإعراب هو المحور الذي تدور حوله الدراسات النحوية، فقد حظي باهتمام وعناية إلى أن وصل الأمر إلى تبويب كتب النحو، التي قد بُوّبت بحسب الإعراب، فالمرفوعات قسم، والمنصوبات قسم، والمجرورات قسم، والأساليب قسم إلى غير ذلك. وأصبح هناك الإعراب اللفظي، والإعراب المحليّ، والإعراب التقديري، والإعراب بالنيابة.

وفكرة الإسناد التي اعتمدها النحويون أساسًا في الجملة، ثمّ سيطرة فكرة العمل والعامل، والتقدير ما هو إلا اهتمام بالشكل أكثر من المضمون، وهو ما جعل النحاة القدماء يضعون عددًا من المصطلحات التي أخذت تمثل أبوابًا نحوية، وقد كان هدفهم من هذه الأبواب أو المصطلحات وصف أساليب اللغة وما تتضـمنه هذه الأســاليب من معانٍ، ولكنّها انحرفت فيما بعد إلى جزء واحد ممّا اهتم به النحاة وهو الحركة الإعرابية، وتفنن النحاة في إعطاء المســوّغات لهذه الحركة، فوضــعوا نظرية العامل، وقسّــموا الكلمات في الجمل إلى عوامل ومعمولات، فما كان من المعمولات لعامل مذكور ربط به، وإن جاء على غير ما يعمله العامل جاءوا بعامل مقدر محذوف أو محذوف لا يجوز إظهاره أو . . .، ولا غرض من هذا التقدير أو التأويل إلا تسويغ الحركة الإعرابية ليس غير.

فأصـــبحنا – جرّاء ذلك – نجد إعرابًا لبعض الأســـاليب والجمل، يمكن أن نقول: بأنّه " إعراب لا منطقي"، وســـأعرض نماذج منه في هذه الورقة؛ لنقف على العقلية الرياضـــية التحكميّة في توجيه الإعراب الذي وضـــعه النحويون وفْقًا لقواعدهم التي وضـــعوها، والويل كل الويل لمن لم يلتزم بهذه القواعد!

إشارة: لا يخفى على أحد أنّ في كتب النحو قضايا كانت في وقتها، ويجب ألّا تكون اليوم أو غدًا، وعدم وجودها لا يعيب النحو وقواعده، ولا يُنقص من حيويته؛ فالنحو شجرة كبيرة ضاربة الجذور في الأعماق، وارفة الظلال تمتلئ بالأوراق الخضراء الزاهية، ويتخللها أوراق صفراء لا بدّ من سقوطها، وسقوطها لا يضرّ الشجرة وسلامتها. وفي اللغة مقوّمات إيجابية كثيرة، وليس من هذه المقوّمات تغيّرات الإعراب لا سيما تلك التي ورد فيها مذاهب مختلفة، فالإعراب زينة اللغة؛ لأنه يكون مساعدًا على الفهم ومنع الالتباس، فلا يجوز الاستخفاف به كما لا تصحّ المغالاة ببعض مسائله أيضًا. وإنّ المغالاة ببعض مسائله ضرب من السّخف المضرّ، وأضرّ ما تكون تلك الأحكام الخارجة عن القواعد الكلية المساعدة على الفهم؛ فهم المعنى المراد، لكن أصحاب المذاهب أدخلوا كثيرًا من أحكام علم الكلام والمنطق والفلسفة؛ ما أدّى إلى الحطّ من أحكام النحو والإعراب.

إضافة إلى ذلك فإنّ النحو علم متخم ومشبع بالاصطلاحات والتقسيمات والفرضيات والتعليلات، وهذه أمور في مجموعها تُعدّ ثروة فكرية عظيمة لمن أرادها تاريخًا للفكر العربي اللغوي في مختلف عهوده وأطواره. وأما من أرادها علمًا يعلّم ويدرس ويُتلقى فإنه سيغوص في متاهاتها ومنعطفاتها غوصًا يفوّت عليه في الغالب سهولة التناول ويسر الاستعمال وهو ما نستطيع توفيرهما إذا عملنا على تخليص اللغة ونحوها من تباين الاصطلاحات وتداخل التسميات وتعدد الوجوه والاتجاهات فتدق بذلك ويسهل تناولها ويتيسر تعلمها وهذا ما نرجوه للغتنا ونتمناه لنحونا.

إضاءة: الأساليب التي سنعرضها شأنها شأن النحو كلّه تقوم على أحكام وتفصيلات كثيرة، وقد أسهب النحويون إسهابًا كبيرًا في الحديث عنها، كما عرضت لنا كتب النحو الخلاف الحاصل بينهم في كلّ جزئية، وليس من مهمّة البحث أن يعرض هذه القضايا والجوانب؛ لأن للبحث مهمة رئيسة، هي عرض نماذج من الإعراب؛ لنقف على الإعراب (اللاواعي)، والذي هو إعراب من اختراع الوهم دون أن يكون له شيء محقّق في المعنى؛ بمعنى أن يُتوهم أنّ فيه إصلاحًا ومنفعة، والحقيقة هو إعراب لا ضرورة له؛ لأنه استنبطه عقل رياضي بعيد عن الوعي، لتسويغ الحركات الإعرابية التي هي ديدن النحويين.

تنوير: ينطلق البحث من فرضية تقوم على سؤال مفاده، هل النحو وسيلة أم غاية في ذاته؟ فإذا كان غاية في ذاته، فللنحويين أن يضعوا ما يشاؤون من قواعد تعتمد المنطق الرياضي. وإذا كان وسيلة، فما الهدف من هذه الوسيلة؟

والذي يبدو لنا أن النحو وسيلة لغاية كبرى، هي: سلامة اللسان من اللحن، وسلامة البنان (القلم). فإذا تحقّقت هذه الغاية الكبرى، فما الدّاعي إلى تلك الأنماط الإعرابية اللاواعية؟!

أهميّة البحث

إنّ اشتغالنا في درس النحو واللغة وتدريسهما ما يقرب من خمس وثلاثين سنة يسوّغ لنا أن نعرض على أنظاركم هذه المسائل، فلعلّ فيها ما يلفت النظر من جديد إلى هذه المباحث، التي يجب أن يُنظر فيها كما يُنظر إلى سائر البحوث؛ أي نظرًا مبنيًّا على قواعد راهنة يتّفق فيها العقل والنقل معًا، ويُطّرَحُ فيها كل رأي ليس فيه ما يقبله العقل بوجه من الوجوه المنطقية المقبولة لدى أولي الفكر والنظر الصحيح. وحسبنا فيما نقوله الآن أن أننبّه به خواطر علمائنا الأعلام المتحفّزة لمثل هذه المسائل، للاستغناء عن طرحها، وحسبي كذلك ألّا أكون قد ضللت السبيل فيما أقول وأكتب.

وتنبثق أهمية البحث من أن الموضوعات التي سنناقشها – على قلتها؛ بسبب طبيعة الدراسة المحكومة بعدد من الصفحات – هي موضوعات سار بها النحويون شوطًا بعيدًا في تعقيد مادته التي افترضوها واختلفوا فيها اختلافًا كبيرًا.

حدود البحث

اتّخذ البحث موضوعات عدّة، لتكون ممثّلة على ما جاء في كتب النحو العربي القديم، دون الخوض في تلك المناقشات والخلافات التي تعجّ بها بطون الكتب؛ فقد درس الفعل المضارع المؤكّد بالنون، ثمّ الفعل المضارع المتصل بنون النسوة والمؤكد بنون التوكيد. ودرس أسلوب التعجب، والمدح والذم والنداء. علمًا بوجود أساليب كثيرة ينطبق عليها ما وسمته بالإعراب اللاواعي، لكن البحث ملزم بأوراق محددّة لا نستطيع تجاوزها.

منهج البحث

استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي، فهو منهج يصف الظاهرة اللغوية كما هي، ثمّ ينظر في رأي النحويين فيها، ويحلل تلك الآراء، ليصل إلى ما وسمه بالإعراب اللاواعي في هذه المسائل دون ليّ لتلك الآراء.

وتناولنا ثلاث مسائل، هي :

المسألة الأولى: إسناد الفعل إلى نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة ونون النسوة، وهذه المسألة اخذت الجزء الأكبر من البحث .

المسألة الثانية: أسلوب التعجب المسألة الثالثة: أسلوب المدح والذم

وفي كلّ أسلوب منها عرضت توجيهات النحويين، والاختلافات الكبيرة في كلّ مسألة، وإعراب النحويين لهذه المسائل، وقد بيّنت لا عقلانية هذا الإعراب ولا منطقيته، ووسمناه بأنه إعراب غير واعٍ.

المسألة الأولى

إسناد الفعل إلى نوني التوكيد الثقيلة والخفيفة ونون النسوة

يقسم النحاة الأفعال ثلاثة أقسام؛ الماضي، والمضارع، والأمر، ويرون أن البناء فيها أصيل كالحروف[1]، وأن المضارع أعرب لمشابهته الاسم.

ويتفق أكثر النحويين على أن الفعل الماضي[2] مبني على الفتح، في حين يرى بعضهم أن الأصل فيه البناء على السكون، والأصل في هذا الفعل أن يكون مبنيًا على السكون.[3]

وأما فعل الأمر فمسألة بنائه خلافية بين البصريين والكوفيين.[4] فالبصريون يرون أنه مبني على السكون، والكوفيون يرون أنه معرب مجزوم[5].

وأما الفعل المضارع فيرى النحويون أنه معرب على خلاف الأصل في الأفعال، لمشابهته الأسماء ووقوعه موقعها.[6] ويبنى في حالتين، هما: عندما تتصل به نون النسوة أو نون التوكيد اتصالًا مباشرًا.[7]

1 انظر: الأنباري أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، ط4، 1961، ج2 ص 524.

2 انظر: سيبويه، أبو البشر عثمان، الكتاب، تحقيق عبد. السلام هارون، ط1، عالم الكتب، ط3، 1983، ج1 ص16. المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، لجنة إحياء التراث، 1399 هـ، ج3 ص173. الأشموني، شرح الأشموني على الفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1955. ج1 ص .22

3 العكبري، أبو البقاء محب الدين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق غازي طليمات، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1995ط1، 15

4 انظر الأنباري، الإنصاف، ج1 ص 524. العكبري، اللباب، ص14.

5 سيبويه، الكتاب، ج1، ص14.

6 الأنباري، الإنصاف، ج2 ص 549.

7 سيبويه، الكتاب، ج1 ص20.

ويكون الفعل مؤكدًا إذا لحقته نون التوكيد، ونون التوكيد في العربية، نونان؛ ثقيلة (نّ) وخفيفة (نْ)، مثل: "وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا" (إبراهيم12). وقد اجتمعتا في قوله تعالى: "لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ" (يوسف32). والغاية من التوكيد تقوية الكلام، وإزالة كل احتمال وشك من ذهن السامع، وإظهار عزم المتكلم على إتيانه بلا تردد.

وللنون تأثير في الفعل من ناحيتي اللفظ والمعنى، أما اللفظ فلأنّهما يخرجان الفعل من الإعراب إلى البناء، وأما المعنى فلأنّ كلًا منهما يجعل الفعل المضارع صالحًا للاستقبال، وقد كان قبل صالحًا للاستقبال والحال. والتوكيد بالثقيلة أشدّ وأقوى دلالة على التأكيد من الخفيفة.[1] وهناك أحكام وخلاف بين البصريين والكوفيين في هذه النون، ولا سيما الخفيفة من حيث الأصل والفرعية، وحذفها عند التقاء الساكنين وغيره من تفصيلات وأحكام لا ضرورة لعرضها هنا.[2]

أحكام توكيد الفعل بالنون

1- الفعل الماضي لا يجوز توكيده بالنون؛ لأن معناه للمضي، ومن شأن نون التوكيد أن تخلّص الفعل المضارع للاستقبال. وما جاء منه مؤكدًا بالنون فهو ضرورة، مثل:

دامَنّ سعدُكَ لو رحمْتِ متيّمًا لولاك لم يكُ للصبابة جانحا

ومنه الحديث: "فإمّا أدركنّ أحدٌ منكم الدّجال".

وشرط ذلك أن يكون الفعل ماضيًا لفظًا مستقبلًا معنى.

2- الفعل المضارع يؤكد بالنونين، كقوله تعالى: "وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ ما آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصّاغِرِينَ" (سورة يوسف: 32).

1 انظر: سيبويه، الكتاب، ج3 ص 509.

2 انظر: الأنباري، الإنصاف ج2 ص 627. ابن هشام، أبو محمد عبد الله، قطر الندى، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، بيوت ط1، 1963، ص64.

3 – فعل الأَمر يجوز توكيده بهما مطلقًا دون قيد أو شرط نحو(:اقرأَنَّ يا خالد درسك، ثم العَبَنْ). قال سيبويه :"فأما الأمر والنهي فإن شئت أدخلت فيه النون، وإن شئت لم تدخل ".[1]وقال ابن هشام : التوكيد بعد الطلب كثير.[2]

توكيد الفعل المضارع:

وله حالات هي:

الأولى: وجوب التأكيد وذلك بشروط هي:[3]

(أ)

- أن يكون مثبتًا. ودالًا على الاستقبال. وجوابًا لقسم.
- أن يكون غير مفصول عن لام القسم بفاصل.

مثال ذلك: "وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم" (الأنبياء57). والله لأدافعنّ عن الحق.

(ب)

إنْ وقع بعد إنْ الشرطية المتصلة بـ (ما) الزائدة مثل: "وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً" (الأنفال 58).

الثانية: جواز التأكيد وذلك في الحالات الآتية:

1– المضارع المنفي بـــ (لا) كقوله تعالى : "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً" (الأنفال 25).

وقد اختلفت كلمة النحاة في المضارع المنفي، فالجمهور لا يجيزون دخول نون التوكيد على المضارع المنفي بـ (لا)، ويحملون ما جاء منه على الضرورة أو الندرة.

1 سيبويه، الكتاب، ج2 ص 149.

2 ابن هشام، أبو محمد عبد الله، مغني اللبيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، د. ت.، ج2 ص23.

3 انظر: سيبويه، الكتاب، ج2 ص 151، 152. المبرد، المقتضب، ج3 ص12. الفراء، أبو زكريا يحي، معاني القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عالم الكتب، ط2، 1980 ج1 ص 414.

وبعضـهم عدّه من التوكيد الجائز[1] ومن ذلك قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ) (النمل 17)، وذهب بعضـهم إلى أن(لا) في الآيتين ناهية. يقول ابن مالك في التسهيل: والنفي بـــ(لا) متصلة كالنهي على الأصح. [2] وفي قوله: (لا تصيبنّ) أثار ابن هشـام إشـكالًا يمنع كون جملة (لا تصـيبنّ) صـفة لقوله: (فتنة)؛ لأن وقوع الطلب صـفة للنكرة ممتنع عند النحاة، فوجب إضمار القول؛ أي واتقوا فتنة مقولًا فيها ذلك، كما قال الشاعر.[3]

حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَمُ وَاخْتَلَطْ ... جَاؤُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِئْبَ قَطْ

2- المضارع الواقع بعد (ما)الزائدة، وهذا الموضع جعله سيبويه من التوكيد الجائز الاختياري، وذكر لذلك عدة أمثلة وردت في النثر، كقول العرب : (ومن عضــة ما ينتبنّ شـكيرها)وكقولهم: (بعين ما أرينّك)[4]

3- المضــارع الواقع بعد (ربما) زعم يونس أنهم يقولون: "ربما تقولنّ ذلك، وكثير ما تقولنّ ذلك. وبين سيبويه جواز ترك النون في بعض المواضع قائلًا: ومن مواضعها حروف الجزاء إذا وقعت بينها وبين الفعل ما للتوكيد؛ وذلك لأنَهم شـبهوا ما باللام التي في لتفعلن، لمَّا وقع التوكيد قبل الفعل ألزموا النون آخره كما ألزموا هذه اللام .وإن شئت لم تقحم النون كما أنَّك إن شئت لم تأت بها".[5]

- يؤكد المضارع إذا كان مسبوقًا بطلب، والطلب هو[6]:

-الاستفهام، مثل: هل تذهبَنّ. - الترجي، مثل: لعلك ترفقَنّ بي.

- العرض، مثل: ألا تجودَنّ عليّ. - التحضيض، مثل: هلّا تجتهدَنّ.

- القسم، مثل: والله لأحفظَنّ العهدَ. - التمني، مثل: ليتك تفوزَنّ بالجائزة.

- النهي، مثل: لا تتكاسلَنّ. -الدعاء، مثل: لا يريكَنّ الله مكروهًا.

1 انظر: ابن يعيش، موفق الدين علي، شرح المفصل، عالم الكتب، د. ت. ج9 ص 40. ابن هشام، مغني اللبيب، ج1 ص246.

2 ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين، شرح التسهيل، تحقيق: محمد السيد ومحمد بدوي، هجر للطباعة، ط1، 1990، ج2 ص 668.

3 الزمخشري، جار الله محمود، الكشاف، طبعة مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيوت، 1986، ج2 ص211

4 سيبويه، الكتاب، ج3 ص 516- 517.

5 المصدر السابق ج3 ص 515.

6 انظر: الصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ودار إحياء الكتب العربية، د. ت. ج3 ص 316.

الثالثة: امتناع التوكيد وذلك في الحالات التالية:

1. المضارع الواقع جوابًا لقسم منفي، وذكروا من ذلك قوله تعالى:" قَالُوا تَاللَّه تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ" (يوسف85)؛ إذ التقدير تالله لا تفتأ.

2. المضارع المقسم عليه زمنه الحال على قول الكوفيين؛ لأن الحال ثابت والثابت لا يفتقر إلى تأكيد[1] .والبصريون يمنعون وقوع فعل الحال جوابًا للقسم.

3. المضارع المفصول عن لام القسم بـــ (سوف) كقوله تعالى:"إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ " (الشعراء 49).

4. الفعل المفصول عن لام القسم بالجار والمجرور، كقوله تعالى:"إ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّه تُحْشَرُونَ (آل عمران 158).

5. الفعل الواقع جوابًا لقسم مثبت مستقبل مفصول بـ (قد) مثاله :والله لقد أذهب، فلا يجوز :والله لقد أذهبنَّ[2]

ثمّة أحكام وتفصيلات كثيرة لتوكيد الفعل بالنون بقسميها الثقيلة والخفيفة، وقد أسهب النحويون إسهابًا كبيرًا في الحديث عنها، كما عرضت لنا كتب النحو الخلاف الحاصل بينهم في كلّ جزئية، وليس من مهمّة البحث أن يعرض هذه القضايا والجوانب؛[3] لأن للبحث مهمة رئيسة، هي إعراب الفعل في حال إسناده إلى الضمائر؛ لنقف على الإعراب الذي وسمناه باللاواعي، والذي هو إعراب من اختراع الوهم دون أن يكون له شيء محقّق في المعنى؛ بمعنى أن يُتوهم أن فيه إصلاحًا ومنفعة، والحقيقة هو إعراب لا ضرورة له؛ لأنه استنبطه عقل رياضي بعيد عن الوعي، لتسويغ الحركات الإعرابية التي هي ديدن النحويين.

ويكون الفعل المؤكد بالنون مسندًا إلى: المفرد والمثنى والجمع ونون النسوة وياء المخاطبة، وفق الأحكام الآتية:

1 الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، بغداد، 1983 ج2 ص 368.

2 ابن مالك، شرح التسهيل، ج2 ص 665.

3 انظر: نون التوكيد بين النحويين والمفسرين، عبد الله السعدي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 9 عدد 3، 2012. / النونات في العربية واستعمالاتها في القرآن الكريم، إبراهيم حمزة درويش، جامعة العلوم الإسلامية، غزة، عام 2012.

1. المسـند إلى المفرد (المتكلم، والمخاطب، والغائب)، سـواء كان الفاعل ظاهرًا أم مسـتترًا، مفردًا كان أم مثنى أم جمعًا:

	المتكلم	المخاطب	الغائب
أ) الفعل الصحيح : درس	لأدرسَنّ	لتدرسَنّ	ليدْرسَنّ

ويكون الفعل مبنيًا على الفتح لاتصاله بنون التوكيد، وفاعله مستتر، ونون التوكيد حرف لا محل له من الإعراب.

ليخلصَـنّ العامل/ وليخلصَـنّ العاملان/ وليخلصَـنّ العاملون/ ولتخلصَـنّ العاملة/ ولتخلصَـنّ العاملتان/ ولتخلصَنّ العاملات.

	المتكلم	المخاطب	الغائب
ب) الفعل الناقص : دعا	لأدعُوَنّ	لَتدْعوَنّ	لَيَدْعوَنّ
: قضى	لأقضِيَنّ	لَتقضِيَنّ	ليقضِيَنّ

والذي يهمّ في هذه الجزئية هو حركة آخر الفعل المضـارع عند اتّصـال نوني التوكيد به عند إسـناده إلى المفرد في كلّ أحواله؛ رفعًا ونصبًا وجزمًا، فقولنا: تكتبُ؛ فعل مضـارع مرفوع وعلامة رفعه الضـمة الظاهرة على آخره. وعند دخول الجزم والنصـــب يصـــبح لم يكتبْ، ولن يكتبَ؛ فعل مضـــارع مجزوم وعلامة جزمه السكون. ومنصوب وعلامة نصبه الفتحة.

فإذا ما دخلت عليه نون التوكيد، يصـبح: يدرسَـنّ، لم يدرسَـنّ، لن يدرسَـنّ، فهو مضـارع في حالة الرفع والجزم والنصب. ثمّ وقع خلاف في الحركة التي على الفعل هل هي حركة إعراب أم حركة بناء؟

في القضـــية ثلاثة مذاهب، هي: البناء مطلقًا، وهو مذهب الأخفش، والإعراب مطلقًا، وهو مذهب بعض النحويين، والتفصـيل بين أن تتصـل به نون التوكيد فيكون مبنيًا، أولا تتصـل به بحجز الضـمير بينهما، فيبقى إعرابه.[1] وذهب سيبويه إلى أنها لمنع التقاء الساكنين.[2]

1 انظر: سيبويه، الكتاب، ج3 ص 519/ أبو حيان، محمد بن يوسف، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1998 ج1 ص 126. ابن عقيل، الهمداني المصري، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط14، 1964،ج1 ص 127.

2 سيبويه، الكتاب، ج3 ص 520.

والذي يبدو لي أنّ الحركة، سـواء كانت حركة إعراب أو حركة بناء فلا معنى لها، فالحركة الإعرابية – في نظري – حركتان حركة لها قيمة في المعنى،[1] وحركة لا قيمة لها، وهذه لا قيمة لها؛ لأنها لا تؤدي إلى تغيير في المعنى.

توكيد الفعل المضارع المتصل بـ ألف الاثنين، وواو الجماعة، وياء المخاطبة، وهذه الأفعال الخمسة التي تكون مرفوعة بثبوت النون. فإنّ نون الرفع تحذف تخفيفًا لتوالي الأمثال، وتحذف الواو والياء للثقل، وتبقى الضمة والكسرة دليلًا عليها.[2]

	المخاطب	الغائب
أ) الصحيح : كتب	تكتبان	يكتبان

وعند التوكيد يصبح: تكتبانِنّ/ ويكتبانِنّ

ونلاحظ هنا اجتماع ثلاث نونات كما يأتي:

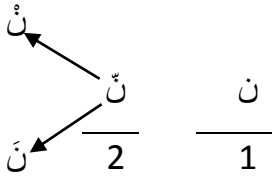

ونحن نعرف أن لغة العرب تقوم على السـهولة والخفة، وتأنف من اجتماع الأمثال، لذلك حذفوا (ن) الرفع (1) لتوالي الأمثال، ثم حركوا نون التوكيد بالكسـر ⇐ لتكتبانِّ، ولم يحذفوا ألف الاثنين؛ لأن في حذفها يقع اللبس بينها وبين الفعل المضارع المسند إلى المخاطب (تكتبَنّ).

ومثله: لنَجتهدَانِّ/ ولتدعوَانِّ/ ولتطويَانِّ/ ولترضيَانِّ

1 انظر: فضل، عاطف، الحركة الإعرابية في فكر خليل عمايرة، المنشور في مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق، مجلد 11، عدد 3، 2016.

2 ابن مالك، شرح الشافية الكافية، تحقيق، علي عوض، وعادل عبد الجواد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 200، ج2، ص59.

ويجب أن نلاحظ هنا أنّ المسند إلى ألف الاثنين لا يؤكد بغير النون الثقيلة؛ لأنّ الألف ساكنة والنون الخفيفة ساكنة، ولا يجوز التقاء ساكنين، مثال:

لتكتبَانِنّ = لتكتبَانِ + نْ + نَ

نون الرفع تحذف لتوالي الأمثال نون التوكيد الثقيلة

ثم نكسر النون = لتكتبانِّ

ب) المعتل : طوى لتطويَانِ + نْ + نَ

ا نّ

تحذف (ن) الرفع (ا) لتوالي الأمثال، ثم حركوا نون التوكيد بالكسر لتطويَانِّ

ويكون إعرابه:

اللام للقسم

تكتبانِّ : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وألف الاثنين في محل رفع فاعل، ونون التوكيد لا محل لها من الإعراب. لاحظ علامة رفعه النون المحذوفة!!

2. المسند إلى واو الجماعة، وهو من الأفعال الخمسة في صيغتي تفعلون ويفعلون. ويكون مرفوعًا بثبوت النون.

المخاطب الغائب

أ) الصحيح : يدرس تدرسون يدرسون

وعند التوكيد يصبح:

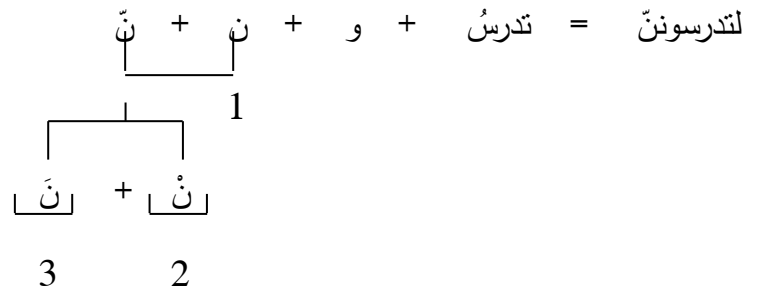

عندما تحذف (نون الرفع) (1) لتوالي الأمثال

يلتقي ساكنان: و + نْ (2)

= لتدرسونْ + نَ / تحذف الواو ويعوض عنها بالضمة

نّ

= لتدرسُنَّ

ب) المعتل الآخر بالألف : ترضى ترضون / بالتوكيد

= لترضُونّ أصلها:

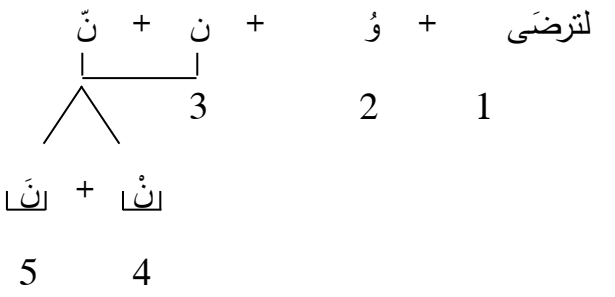

نحذف آخر الفعل المعتل رقم (1) ويبقى ما قبل الواو مفتوحاً وتضم الواو ثم تحذف نون الرفع رقم (3) لتوالي الأمثال = لترضَوُنّ.

ج) المعتل الآخر بالواو أو الياء وهنا نحذف آخر الفعل ونحذف واو الجماعة مع ضـــم ما قبلها، نحو: لَتدْعُنّ/ لتطوُنّ.

3. المسند إلى ياء المخاطبة، وهو الصيغة الخامسة من الأفعال الخمسة، تفعلين/ ويكون مرفوعًا بثبوت النون.

أ) الفعل الصحيح: تجتهدين/ وعند التوكيد يصبح:

لتجتهدينّ = لتجتهديْ ن + نْ + نَ

1 نّ

نحذف نون الرفع (1) لتوالي الأمثال

يلتقي ساكنان هما: ي + نْ

نحذف ياء المخاطبة ونكتفى بالكسرة عوضًا عنها

= لتجتهدين + نّ = لتجتهدِنّ

تحذف تحذف

ب) المعتل الآخر: يحذف آخر الفعل، فإن كان آخر الفعل ألفًا تبقى ياء المخاطبة مفتوحًا ما قبلها وكسرت الياء، مثل: لترضَينّ/ وارضِيَـنّ وإن كان آخر الفعل واوًا أو ياءً يحذف آخر الفعل وتحذف ياء المخاطبة ويُكسر ما قبلها، مثل: لتَدْعِنّ/ لتَطْوِنّ/ ادعِنّ/ اطْوِنّ.

الملاحظ على تلك الصيغ أن الفعل المضارع المؤكد عند اتصاله بـــ ألف الإثنين وواو الجماعة وياء المخاطبة، يطرأ عليه تغييرات تتمثل في: حذف النون لتوالي الأمثال، وحذف الواو والياء. أما حذف الواو والياء، يقول زيد القرالة معلّلًا سبب مجيء المضارع على صورته بعد حذف الواو والياء وإسناده إلى نون التوكيد:" وما يُطلق عليه في عُرف القدماء التقاء الساكنين، إنما هو تشكيل مقطعي تتحاشاه العربية في بنائها، يتكوّن من مقطع مديد مغلق بصامت، وهو (ص ح ح ص) في مثل، يكتبونّ، وهنا نلاحظ وجود المقطع(ص ـــــُ ن) (ص ح ح ص)، ولذلك يُقص صوت المدّ الدال على الجماعة، وتبقى الضـــمة دالة عليه. وما يجري في واو الجماعة يجري في ياء المؤنث(تَكْتُبِنّ) بدلا من (تكتبينّ)؛ إذ قصرت ياء المد، وهي كسرة طويلة إلى كسرة، وبقيت دالة على المفرد المؤنث".[1] ويرى زيد القرالة أن

1 القرالة، زيد، الفعل المضارع بين الإعراب والبناء رؤية جديدة في ضوء علم الأصوات، مجلة مجمع اللغة العربية السوري، دمشق، 2013، ص12.

نون الرفع لم تحذف لتوالي الأمثال، إنما لوجود بداية مقطع مرفوض عند اتصـــال واو الجماعة أو ياء المخاطبة بالفعل المضـــارع وتوكيده بالنون الثقيلة وبما أن العربية لا تبدأ بســـاكن ومن أجل تحقيق الانسجام في البناء المقطعي يتمّ حذف نون الرفع.[1] ويبيّن ذلك بمثال:

كْتُبُون + نّ = ت ـَ ك/ ت ـُ/ ب ـُ ـُ ن + نْ ن ـَ

ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح ص + ص ص ح

فيتحول الفعل تكتبون نّ إلى تَكْتُبُونّ = ت ـَ ك/ ت ـُ/ ب ـُ ـُ ن + نْ/ ن ـَ

ص ح ص/ ص ح/ ص ح ح ص/ ص ح

فيتشـــكّل نتيجة لذلك المقطع المديد: (ص ح ح ص)، ليتمّ تقصـــيره بعد ذلك، ليظهر الفعل بصـــورته النهائية

(تكْتُبُنّ) = ت ـَ ك/ ت ـُ/ ب ـُ نْ / ن ـَ = ص ح ص/ ص ح/ ص ح ص/ ص ح

وما حدث في الفعل المؤكد (تكتبون)، يحدث أيضًا في (تكتبين)؛ إذ قصرت العلة الطويلة، فأصبحت (تذهبِنّ)[2]

أتفق مع الدكتور زيد في هذه الرؤية، لكنها رؤية لطلبة الدراســات العليا، والمشــتغلين بالبحث العلمي، أما طلبة مرحلة التعليم العام أو الجامعيّة الأولى فكيف ســـنقدّم لهم ذلك، وإذا ما طلب منهم إعرابها فكيف يكون هذا الإعراب؟ سنعود إلى ذاك الإعراب (اللا واعي)، وهو فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة، والواو ضـــمير متصـــل مبني في محل رفع فاعل وقد حذفت لالتقاء الســـاكنين!! فما حللنا المشـــكلة، فقد عدنا إلى النقطة الأولى التي بدأنا منها، وهي كيف نتخلص من هذا الإعراب؟ وكيف نقدّمه للطلبة؟

3. المسند إلى نون النسوة وتوكيده بـ (نّ)

1 المصدر السابق ص 13.

2 المصدر السابق، ص 13.

تتصل نون النسوة (نَ) بالفعل المضارع كما اتصلت بالماضي دلالة على جمع الإناث، فيبنى على السكون، كما في قوله (يكتبْنَ) و(كتبْنَ)، قال سيبويه:" إذا أردت جمع المؤنث في الفعل المضارع ألحقت للعلامة نونًا، وكانت علامة الإضمار والجمع فيمن قالوا: أكلوني البراغيث، وأسكنت ما كان في الواحد حرف الإعراب كما فعلت ذلك في (فعل) حيث: (فعلتَ) و(فعلْنَ)، فأسكن هذا ههنا، وبني على هذه العلامة". [1] وذهب إلى هذا ابن يعيش بقوله:" كذلك أسكن في المضارع تشبيهًا به"[2] فالفعل المضارع مرفوع، وتظهر عليه علامات الإعراب من رفع ونصب وجزم، فتلحقه نون النسوة فيبنى على السكون في أحواله كلها.

وفي إعرابه لبس أيضًا، فماذا نقول في إعرابه؟ فعل مضارع مرفوع بضمة محذوفة تخفيفًا، ومنصوب بفتحة محذوفة تخفيفًا، وفي حال الجزم عليه السكون؟؟ وأرى بأن هذا إعراب غير منطقي، والذهاب إلى كل ما لا نستطيع تفسيره إلى القول بأنه تخفيفٌ أو غير ذلك من أعذار واهية وغير مقنعة، ولا تقوم على علّة علمية، وإنما جاء ت علّة السكون لتمييزه من غيره من الأفعال فلا يلتبس بها، ولا وجود لعلة صوتية أو مقطعية كما ذهب زيد القرالة.[3]

لا يحذف منه شيء، وإنّما تزاد ألف بعد نون النسوة وقبل نون التوكيد كراهة توالي الأمثال، مثل:

الفعل تذهبُ + نَ (نون النسوة) = تذهبْنَ.

وفي حال دخول نون التوكيد (نّ) = تذهبْنَ + نّ (نون التوكيد) = تذهبْنَنّ

ولتوالي الأمثال نأتي بألف (ا) بين نون النسوة ونون التوكيد = لتذهبْنَانَّ، ثم تكسر نون التوكيد = لتذهبْنَانِّ ومنه: لتدعونَانِّ/ لتخشينَانِّ/ ادعونَانِّ/ واخشونَانِّ.

أيضًا أليس هذا غير مقنع، عندما لا نستطيع نطق النونات متتالية، قالوا نضع ألفًا بين نون النسوة ونون التوكيد؟

1 سيبويه، الكتاب ج1 ص 20.

2 ابن يعيش، شرح المفصل، ج1 ص 215.

3 القرالة، زيد، الفعل المضارع بين الإعراب والبناء ص 20.

ملحوظات

1- الفعل تسعى: معتل الألف وفي حال إسناده إلى:

أ. المفرد تقلب لام الفعل (ى) إلى ياء ويبنى الفعل على الفتح وكذلك نون التوكيد تبنى على الفتح، لِتَسْعَيَنّ.

ب. في حال إســـناده إلى ألف الاثنين تقلب لام الفعل (ى) إلى ياء، ثم تحذف نون الرفع لتوالي الأمثال، وتبدل فتحة نون التوكيد إلى كسرة لتسْعيانِّ.

ج. وفي حال إسـناده إلى واو الجماعة تقلب لام الفعل وهي (ى) إلى واو، ثم تحذف نون الرفع لتوالي الأمثال وتحرك واو الجماعة بالضم للتخلص من التقاء الساكنين، لتسْعَوُنّ.

د. وفي حال إســـناده إلى ياء المخاطبة تقلب الألف إلى (ي) ثم تحذف وتبقى الفتحة دليلًا عليها، ثم تحذف نون الرفع لتوالي الأمثال ثم تكسر ياء المخاطبة، لتسْعَينِّ.

هـــ. وعند إسناده إلى نون النسوة تقلب لام الفعل وهي (ى) إلى ياء ساكنة بعدها نون النسوة مفتوحة، ثم يؤتى بألف فارقة بين نون النسوة ونون التوكيد الثقيلة، وتحول فتحتها إلى كسرة، لتسعيْنَانِّ.

2- الفعل تدعو: معتل بالواو وفي حال إسناده إلى:

أ. المفرد لا يحذف من الفعل شـــيء، ويؤكد بنوني التوكيد الثقيلة والخفيفة، ويبنى الفعل على الفتح، لتدعُوَنّ.

ب. وفي حال إسـناده إلى ألف الاثنين تحذف نون الرفع لتوالي الأمثال، ويكون الفعل معربًا؛ لأنّ نون التوكيد لم تتصل به اتصالًا مباشرًا، ويؤكد بنون التوكيد الثقيلة وتبدل فتحتها كسرة، لتدعُوَانِّ.

ج. وفي حال إسـناده إلى واو الجماعة تحذف الواو (لام الفعل) وتبقى الضـمة دليلًا عليها، ثم تحذف واو الجماعة ونون الرفع، ويكون الفعل معربًا لعدم اتصال نون التوكيد به اتصالًا مباشرًا، لتدعُنَّ.

د. وفي حال إسناده إلى ياء المخاطبة تحذف الواو (لام الفعل)، ثم تحذف ياء المخاطبة وتبقى الكسرة دليلًا، ثم تحذف نون الرفع لتوالي الأمثال. ويكون الفعل معربًا لأنّ نون التوكيد لم تتصـــل به اتصـــالًا مباشرًا، لتدْعِنّ.

هـــ. وفي حال إسناده إلى نون النسوة لا يحذف منه شيء، ويؤتى بألف فارقة بين نون النسوة ونون التوكيد، ويؤكد بالنون الثقيلة وحدها، ويكون مبنيًا على السكون لاتصاله بنون النسوة، لتدعونانِّ.

3- الفعل تقضي: معتل بالياء وفي حال إسناده إلى:

أ. المفرد لا يحذف من الفعل شيء ويؤكد بإحدى نوني التوكيد، ويكون الفعل مبنيًا على الفتح، وكذلك نون التوكيد تبنى على الفتح، لَتَقْضِيَنَّ.

ب. وفي حال إســـناده إلى ألف الاثنين تحذف نون الرفع لتوالي الأمثال، ويؤكد بالنون الثقيلة وحدها، ويكون الفعل معربًا؛ لأنّ نون التوكيد لم تتصل به اتصالًا مباشرًا، لتقضِيانِّ.

ج. وفي حال إســـناده إلى ياء المخاطبة تحذف نون الرفع لتوالي الأمثال، ثم تحذف ياء المخاطبة لالتقاء الساكنين وتبقى الكسرة دليلًا عليها، لَتَقْضِنَّ.

د. وفي حال إسناده إلى نون النسوة لا يحذف منه شيء، ويؤتى بألف فارقة تفصل بين نون النسوة ونون التوكيد، ويؤكد بالنون الثقيلة وحدها، ويكون مبنيًا على السكون.

المسألة الثانية

أسلوب التعجب

أسلوب من أساليب العربية، قليل الأمثلة بالقياس إلى ما حصل حوله من نقاش طويل بين النحاة السابقين، الذين انشغلوا بوجوه إعرابه وتفصيلاته، وكذلك بين المعاصرين في ندوات تيسير وتجديد النحو العربي. ومن ثم، هو في العصر الحديث نادر جدًا، ففي دراسة أجرتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على مجموعة مختارة من نصوص الأدب العربي المعاصر، تبيّن لها أن صيغة التعجب الواردة، هي: ما أفعل فقط، وهي نادرة جدًا.[1]

وللتعجب قصة طريفة يحسن بي أن أجعل منها مدخلًا للموضوع. قيل: إنّ ابنة لأبي الأسود قالت له: يا أبتِ، ما أشدُّ الحرِّ! في يوم شديد الحر! فقال لها: إذا كانت الصقعاء من فوقك، والرمضاء من تحتك. فقالت: إنّما أردت أنّ الحرّ شديد. فقال لها: فقولي إذن: ما أشدَّ الحرَّ!

1 انظر: عودة، أبو عودة، تركيب الجملة في الحديث النبوي، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1988ص438.

وقيل: إنّه دخل منزله، فقالت له بعض بناته: ما أحسنُ السماء! قال: أي بنيّة، نجومها. فقالت: إنّي ما أردت أيّ شيء منها أحسن؟ وإنّما تعجبت من حسنها. فقال: إذن قولي: ما أحسنّ السماءَ !

والتعجب هو انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه، ولم يعلم. والمعنى المصاحب له الانفعال والدهشة والحيرة.

والتعجب أسلوب من أساليب العربية، تقوم الجملة فيه على ترتيب معين لا تخرج عنه؛ لأنه جرى مجرى المثل كما عبّر عنه النحويون. وللتعجب صيغتان قياسيتان هما:

- ما أفعله! نحو: ما أحسنَ محمدًا
- أفعل بـ ! نحو: أحسن بـ محمدٍ

وله أساليب سماعية كثيرة، فالمتتبع لأساليب العربي يجد فيها ضروبًا شتّى سماعية تدل على التعجب، وهي مأخوذة من أبواب نحوية، للتعبير عن مظاهر الانفعال والدهشة والإعجاب، منها: لله درّه فارسًا، سبحان الله، ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا﴾ (البقرة 28)' لله أنت، يا له من ظالم، واهًا له معلمًا . . . إلخ

هذا، واختلف النحويون في إعراب صيغ التعجب اختلافًا كبيرًا، فقد اجمعوا على أنّ (ما) تعجبية في محل رفع مبتدأ، واختلفوا فيها من حيث إنها نكرة تامة، والفعل بعدها في موضع رفع الخبر، أو استفهامية صحبها معنى التعجب، والفعل بعدها في موضع الخبر.[1] ولم يقف الخلاف عند (ما) وحدها، بل امتدّ كي يشمل(أفعل) بعدها، فقد ذهب الكوفيون إلى أنّ (أفعل) اسم، ولهم حججهم في ذلك، ومنهم من قال: إنه فعل ماض، وذلك لفتح آخره.[2]

الناظر في هذه الأدلة يرى بوضوح تامّ أنّ قضية العمل والعامل وجدلية التأويل مسيطرة على أذهانهم تمامًا، وأنهم يحاولون ردّ هذا الأسلوب إلى تلك القواعد التي رسموها لأنفسهم، هذه القواعد التي لا يجوز الخروج عليها بحال من الأحوال.

وهذه نظرة لهذا الأسلوب غير دقيقة؛ لأنهم عالجوا مسائل هذا التركيب معالجة شكلية في جزئية صغيرة، ليحلوا مشكلة إعرابية أو تسويغ الحركة الإعرابية في قولهم: (ما أحسن زيدًا)؛ إذ أوّلوه بشيء

1 سيبويه، الكتاب، ج1 ص73.

2 انظر: الأنباري، أبو البركات، الإنصاف، مسالة 15. ابن يعيش، شرح المفصل، ج7 ص143.

حسّن زيدًا. وهذا التأويل وتلك الآراء لا تخدم هذا الأسلوب في إدراك حقيقته، بأنه انفعال يعرض للنفس عند الشعور بأمر يخفى سببه. وكان من الأولى أن يُنظر إلى هذا التركيب بوصفه كلًا متكاملًا، وليس إلى تفتيته إلى جزئيات صغيرة أفقدته معناه ووظيفته الدلالية التي صيغ من أجلها. وليس هو من قبيل الجملة الاسمية أو الفعلية، بل هو نمط آخر من أنماط الجملة أساسه الانفعال والتأثر، وإن القول بالاسمية أو الفعلية يقودنا إلى البحث عن عملية إسناد للفاعل أو المبتدأ، وهذا يقودنا أيضا إلى البحث عن الفاعل وتأويل للخبر، إضافة إلى أن (أحسن) لا تعطي دلالة زمنية، ولا علاقة للتركيب بالزمن، يقول السامرائي:" إنّ تقييد هذا الفعل بالزمن باطل، فليس الزمن مقصودًا، ولا مكان له في هذه الجملة الخاصّة".[1]

وحين يُقدّم الإعراب للطلبة يكون كما يأتي:

- (ما أفعل)، نحو: ما أحسن محمدًا
- (أفعل بـ)، نحو: أكرم بمحمدٍ

فقد اختلف النحويون في إعراب هاتين الصيغتين اختلافًا واضحًا – كما ذكرنا –، والمتفق عليه:

ما : تعجبية مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ

أحسن : فعل ماضٍ مبني على الفتح، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، يعود على (ما)

محمدًا : مفعول به منصوب، والجملة في محل رفع خبر المبتدأ

أكرم : فعل ماضٍ جاء على صورة الأمر مبني على السكون

بـ : حرف جر زائد

محمد : اسم مجرور لفظًا مرفوع محلًا على أنه فاعل فعل التعجب أو فاعل مرفوع بضمة مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد

1 السامرائي، إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاتي، بغداد، 2017 ، ص69.

والذي يثير الدهشة والاستغراب قولهم: ماض جاء على صيغة الأمر؟؟!! فما الرابط بين الماضي والأمر في هذه الصيغة؟ ثم كيف يكون محمدًا في الصيغة الأولى مفعولًا به، وفي الصيغة الثانية فاعلًا؟ أليس هذا الإعراب اللاواعي؟!

ونرى – عند تقديم هذا الموضوع للطلبة – أننا يجب أن نبتعد عن إعراب صيغ التعجب، فالنحويون قد اختلفوا اختلافًا واضحًا في هذا الإعراب؛ لأنهم عالجوا مسائل هذا الأسلوب معالجة شكلية في جزئية صغيرة، ليحلوا مشكلة إعرابية أو تسويغ الحركة الإعرابية على التركيب كما ذكرت قبل قليل.

والأَوْلى أن ننظر إليه على أنه تركيب مسكوك ثابت يعبر عن الانفعال والدهشة، ويُكتفى بأن نقدّم للطالب هذا التركيب كما يأتي.

ما: أداة تعجب أفعل: صيغة التعجب الاسم المنصوب: متعجب منه.

أفعل بـ صيغة: التعجب الباء وما بعدها: متعجب منه.

ثمّ وضعوا شروطًا لصياغته[1]

المسألة الثالثة

أسلوب المدح والذم

أسلوب من أساليب العربية، وضعه النحاة في باب مستقل. وذكر النحاة لهذا الأسلوب ألفاظًا منها ما هو لإنشاء المدح، نحو: نعم، وحبّذا، ومنها ما هو لإنشاء الذم، نحو بئس ولا حبّذا.

أما الغرض من هذه الألفاظ فهو إنشاء المدح والذم. قال الرضي:" وذلك أنك إذا قلت: نعم الرجل زيدٌ، فإنما تنشئ المدح والذم وتحدثه بهذا اللفظ، وليس المدح موجودًا في الخارج في أحد الأزمنة مقصودًا مطابقة هذا الكلام إيّاه حتى يكون خبرًا، بل تقصد بهذا الكلام مدحه على جودته الحاصلة خارجًا، ولو كان إخبارًا صرفًا عن جودته خارجًا لدخله التصديق والتكذيب....". [2] ومعنى قول الرضي أن أسلوب المدح والذم ليس بإخبار يتعلق بالتصديق والتكذيب، وإنما إنشاء لا يقصد به الطلب، وإنما

1 لمزيد من التفصيل حول هذه الشروط، انظر: سيبويه، الكتاب، ج4 ص97. المبرد، المقتضب، ج4 ص182.ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج 2 ص153. الأزهري، خالد، شرح التصريح، ج2 ص 93. الأشموني، شرح الأشموني، ج2 ص365.

2 الإستراباذي، محمد بن الحسن، شرح الكافية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1982، ج2 ص 331.

هو المدح العام والذم العام على سبيل المبالغة كما ذكر ابن جنّي بقوله:" .... ومعناهما المبالغة في المدح والذم". [1]

هذا وقد اختلف النحويون في ألفاظ المدح والذم، واشتد الخلاف بينهم في فهم نعم وبئس، من حيث الفعلية أو الاسمية تحقيقًا للقواعد التي رسموها لكل من الاسم والفعل. وقد عرضت لنا كتب النحو هذا الخلاف مفصّلًا حينًا، ومجملًا حينًا آخر.[2]

فقد ذهب الكوفيون إلى أن نعم وبئس اسمان مبتدآن، وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان لا يتصرفان، وإليه ذهب الكسائي من الكوفيين. وكل فريق يحاور الفريق الآخر بحجج تقوى حينًا، وتضعف حينًا آخر.

وانعكس هذا الخلاف أيضًا على المحدثين من الدارسين والباحثين، فمنهم من تابع الكوفيين، ومنهم من تابع البصريين، ومنهم من خرج من هذا وذاك برأي جديد. فمنهم من رأى انها أفعال شاذة.[3]، ومنهم من رأى أنها خوالف، خالفة المدح وخالفة الذم.[4]

ويبدو لنا أن الذي دفع النحاة إلى هذا الخلاف الطويل بين الاسمية والفعلية هو نظرتهم الشكلية في تراكيب هذه الالفاظ، وليس إلى المعنى الذي تعطيه، ومن هنا لا أستطيع ان أعدهما من قبيل الاسمية والفعلية؛ إذ لا علاقة لهما بالاسمية والفعلية.

فالإعراب الذي ذهبوا إليه – والذي نعلّمه لطلبتنا في المدارس والمعاهد والجامعات– هو:

نعم وبئس فعل ماض جاء لإنشاء المدح/ الذم

وبعدهما فاعل، ووضعوا له شروطًا.

1 ابن جني، أبو الفتح عثمان، اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985، ص200.

2 انظر: الأنباري، أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة 14. العلوي، علي بن حمزة، الآمالي الشجرية، دار المعرفة، بيروت، د. ت. ج2 ص. ابن يعيش، شرح المفصل، ج 7 ص 127. الأشموني، شرح الأشموني، ج2 ص370. الفراء، معاني القرآن، ج1 ص56.

3 المخزومي، إبراهيم، النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة المصرية، ط1، 1986 ص190. المخزومي، مهدي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، مطبعة البابي الحلبي، ط1، 1964، ص134.

4 حسان، تمام اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة، ط3، 1985، ص150.

وبعده المخصوص بالمدح أو الذم وله أوجه إعرابية متعددة؛ المخصوص بالمدح أو الذم مبتدأ مؤخر والجملة الفعلية خبر مقدم[1]. أو خبر لمبتدأ محذوف[2] وعليه المبرد، وابن السراج، والجرمي، والفارسي. أو بدل من الفاعل على رأي ابن كيسان.[3] وذهب ابن عصفور إلى أنه مبتدأ حذف خبره.[4]

والكلام نفسه ينطبق على حبذا ولا حبذا، فقد ذهب سيبويه إلى أن حبّ فعل ماض، وذا فاعل.[5] وعليه، يكون إعرابها في قولنا: حبذا زيد

حبذا: مبتدأ وزيد خبره

أن تجعل زيدا مبتدأ وحبذا خبره

أن تجعل ذا زائدة، فيرتفع زيد بحبّ؛ لأنه فاعل

أن تكون ذا مرفوعة بحب ارتفاع الفاعل بفعله، ونجعل زيدًا بدلًا منه.

وذهب الأخفش إلى أن حبذا كله فعل، وتبعه ابن درستويه والربعي وعندهم أن التركيب أزال الاسمية عن ذا فغلبت عليها الفعلية، واستدلوا بأن الجزء الأول فعل، والقوة للجزء الأول، وبأن الفعل أكثر حروفًا، فيكون الإعراب: حبذا فعل وزيد فاعل[6]، قال ابن يعيش: "وذا لغو".[7]

وهناك أحكام للمخصوص كثيرة ذكرها النحويون لا ضرورة لذكرها.[8]

هذا التعدد الإعرابي الكثير بين الاسمية والفعلية أراه من باب الإعراب (اللاوعي)، والذي يرهق عقول الطلبة، ويجعلهم ينفرون من الإعراب، والذي يبدو لي أن ننظر إلى هذه التراكيب نظرة أخرى تقوم على أن هذه الألفاظ عناصر زيادة تدخل على الجملة الفعلية والاسمية؛ لتفيد معنى المدح أو الذم، فهي

1 سيبويه، الكتاب، ج2 ص177.

2 المبرد، المقتضب، ج2 ص141. ابن السراج، أبو بكر محمد، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985، ج1 ص112. ابن يعيش، شرح المفصل، ج7 ص135. الجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح، ج2 ص476.

3 الأزهري، خالد، شرح التصريح على التوضيح، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د. تز، ج2ن ص97.

4 ابن عصفور، علي بن مؤمن، المقرب، تحقيق: أحمد عبد الستار وعلي الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1971،ج1 ص667.

5 سيبويه، الكتاب، ج2 ص180.

6 انظر: ابن مالك، شرح الكافية، ج2 ص 318. الأزهري، شرح التصريح، ج2 ص99.

7 ابن يعيش، شرح المفصل، ج7 ص140.

8 انظر: السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم وعبد السلام هارون، ، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975، ج5 ص49. الأشموني، شرح الأشموني، ج2 ص381.

انفعال في النفس تجاه موضوع يستحق أن يُمدح أو يُذم، وهذا الموضوع يحتاج ألفاظًا تتناسب وهذا الانفعال للتعبير عنه بوضوح تام، وبهذا حافظنا على معناها، ودراسة النحويين لهذه الألفاظ بتلك الخلافات الطويلة والمتشعبة يفقد هذه الألفاظ دلالتها وحيويتها، وخطّها المعنوي الذي نطقت لأجله العرب، وبهذا نتخلص من ذاك الإعراب المتعدد الذي يثقل عقل الطلبة.

وعليه، يكون إعرابها: عنصر زيادة لإفادة المدح أو الذم + مبتدأ + خبر، سواء تقدم المبتدأ أو تأخر أو حُذف.

خلاصة البحث ونتائجه

علم النحو هو علم العربية في بناء كلماتها، وصياغة تراكيبها، وضبط أجزائها، والقدرة على اتباع قوانين هذا العلم مهارة لا بدّ من اكتسابها لمن يريد تعلم العربية.

وليس من شك في أنّ المتعلمين في شتّى المراحل التعليمية من أبناء العربية يعانون من ضعف ظاهر في فهم القواعد وتوظيفها، وما كان هذا الضّعف والهروب من حصة القواعد إلا نتيجة الجمود في بعض المسائل التي تُطرح أمام الطلبة، المسائل التي يجب أن يُنظر لها نظرة أخرى غير النظرة التقليدية القائمة على المنطق الرياضي العقلي، والتي قد تكون في زمانها مقبولة. لكننا اليوم يجب أن نفرّق بين شيئين، هما:

– الحديث عن النحو بوصفه علمًا تراثيًا ما زال يدرّس في كثير من الجامعات على أنه غاية أو هدف في حدّ ذاته.

– والحديث عنه بوصفه وسيلة للتطبيق على ألسنة المتعلمين وكتاباتهم.

ويجب ألّا يُفهم من كلامنا أننا ضد النحو والقواعد، لا، بل أنا من خمسة وثلاثين عامًا معني بتدريسه والبحث فيه، وأعده جزءًا من عقيدتي؛ إذ لا يمكن معرفة القرآن وقراءاته، والوقوف على دلالات الآيات دون علم النحو. لكنني لا أقدّس القديم، بل أقدّره أيّما تقدير.

اكتفينا بعرض مسائل ممّن تنطبق عليها قضية الإعراب اللاوعي، وهناك مسائل كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر: كاد وأخواتها، لفظ اللهمّ، إعراب الاسم الواقع بعد واو المعية عندما لا تتعيّن الواو للمعيّة خالصة، وإعراب لا سيما والاسم الواقع بعدها، وحروف العرض والتحضيض، والشرط وغيرها ممّا لا تتسع صفحات البحث لعرضه. خلاصة البحث ونتائجه، وهنا أقول :

وأخلص إلى نتيجة مهمّة جدًّا، مفادها أنّ النظر الجديد أو المتجدد للقضـــايا النحوية ممكنة لا ممتنعة، وهي تتأتّى من التعامل الواعي مع القواعد النحوية، للوصـــول إلى آفاق واســـعة في الدرس اللغوي، تنبثق عنها رؤًى تُسهم في تسهيل القضايا النحوية.

وهذا النظر الجديد لا يعني التمرّد على القديم؛ إذ القِدَم والجِدّة أمران نسبيان، والنظرة التجديدية تقوم على النظر في الرصـيد النحوي بخاصّـة واللغوي بعامّة، وكذا الحال بالنسـبة إلى الضـرورة التيسـيرية للنحو، فهي ذات صلة وثيقة بالأصالة التي لا تعني التقوقع على القديم وحده والاكتفاء به، وترفض كلّ ما هو جديد، والخطير في الأمر أنّ بعض العقول أصابها التّكلّس؛ إذ تقبّلت كلّ ما هو قديم، وتمترست عنده، وبعض آخر رفض القديم وانزلق مع الحديث بكليته بغثّه وســـمينه، فالتقوقع على القديم وحده تكلّس وجمود، والأخذ بالحديث وحده انسلاخ وهروب .

اكتفيت بعرض مسائل ممّا تنطبق عليها قضية الإعراب اللاوعي، وهناك مسائل كثيرة، منها على سـبيل المثال لا الحصـر: كاد وأخواتها، لفظ اللهمّ، إعراب الاسـم الواقع بعد واو المعية عندما لا تتعيّن الواو للمعيّة خالصـة، وإعراب لا سـيما والاسـم الواقع بعدها، وحروف العرض والتحضـيض، والشـرط وغيرها ممّا لا تتسع صفحات البحث لعرضه .

وختامًا، نقول: هناك كثيرون يحجمون عن إبداء الرأي في قضـــايا النحو أو اللغة إلا في حدود المتوارث، وذلك بســـبب تمكّن الكوابح الثقافية من أنفســـهم؛ رغبة ورهبة من ردّة الفعل النفســـية غير العاقلة، التي تكرّســـت وتمكّنت على مرّ الزمن من عقلية جمعية لأشـــخاص لا ولن يســـمحوا للحوار الرصين الذي يفتح المجال أمام رؤًى اجتهادية تجديدية، ترتكز على أسس علمية منطقية. وإذا لم تتحقَّق الشـجاعة والجرأة في إبداء الرأي، والحوار الصـريح، والنظرة النقدية، فسـوف تتكرَّس في واقع الباحثين والدارسين أفكارُ التقليد والتلفيق.

كما آمل من ورقتي هذه أن أكون قد حرّكت الفكر الســـاكن في العقليات لتوجيه الطلبة نحو البحث والتجديد وجرأة القول وعدم تقيس الكتاب القديم.

مراجع البحث ومصادره

القرآن الكريم

1. الأزهري، خالد، شرح التصريح على التوضيح، مطبعة عيسى البابي الحلبي، د. ت.
2. الإستراباذي، محمد بن الحسن، شرح الكافية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1982.

3. الأشموني، شرح الأشموني على الألفية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1955.
4. الأنباري أبو البركات، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، ط4، 1961.
5. الجرجاني، عبد القاهر، المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: كاظم بحر المرجان، دار الرشيد، بغداد، 1983.
6. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط2، 1952.
7. ابن جني، أبو الفتح عثمان، اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985.
8. حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة، ط3، 1985.
9. أبو حيان، محمد بن يوسف، التذييل والتكميل في شرح التسهيل، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1998.
10. درويش، إبراهيم حمزة، النونات في العربية واستعمالاتها في القرآن الكريم، جامعة العلوم الإسلامية، غزة، 2012.
11. الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير أو مفاتح الغيب، دار إحياء التراث العربين بيروت، ط3، 1420 هـ.
12. الزجاج، أبو إسحق، إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.
13. الزمخشري، جار الله محمود، الكشاف، طبعة مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، 1986.
14. السامرائي، إبراهيم، الفعل زمانه وأبنيته، مطبعة العاتي، بغداد، 2017.
15. ابن السراج، أبو بكر بن محمد، الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985.
16. السعدي، عبد الله، نون التوكيد بين النحويين والمفسرين، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 9 عدد 3، 2012.
17. سيبويه، أبو البشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، ط3، 1983.
18. السيوطي، جلال الدين همع الهوامع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم وعبد السلام هارون، دار البحوث العلمية، الكويت، 1975.
19. الصبان، محمد بن علي حاشية الصبان، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ودار إحياء الكتب العربية، د. ت.
20. ابن عصفور، علي بن مؤمن، المقرب، تحقيق: أحمد عبد الستار وعلي الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1971.
21. ابن عقيل، الهمداني المصري، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط14، 1964.
22. العكبري، أبو البقاء محب الدين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق غازي طليمات، ط1، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1995.
23. العلوي، علي بن حمزة، الأمالي الشجرية، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

24. عودة، أبو عودة، تركيب الجملة في الحديث النبوي، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1988.
25. الفراء، أبو زكريا يحي، معاني القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عالم الكتب، ط2، 1980.
26. فضل، عاطف، الحركة الإعرابية في فكر خليل عمايرة، المنشور في مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق، مجلد 11، عدد 3، 2016.
27. فضل، عاطف، الصرف الوظيفي، دار المسيرة، عمان/ الأردن، ط2، 2013.
28. القرالة، زيد، الفعل المضارع بين الإعراب والبناء رؤية جديدة في ضوء علم الأصوات، مجلة مجمع اللغة العربية السوري، دمشق، 2013.
29. القرطبي، ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط2، 1982.
30. ابن مالك، أبو عبد الله جمال الدين شرح التسهيل، تحقيق: محمد السيد ومحمد بدوي، هجر للطباعة، ط1، 1990.
31. ابن مالك، شرح الشافية الكافية، تحقيق، علي عوض، وعادل عبد الجواد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 200.
32. المبرد، محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، لجنة إحياء التراث، 1399 هـ.
33. المخزومي، إبراهيم، في النحو العربي نقد وتوجيه، المكتبة المصرية، ط1، 1986.
34. لمخزومي، مهدي، في النحو العربي قواعد وتطبيق، مطبعة البابي الحلبي، ط1، 1964.
34. ابن هشام، أبو محمد عبد الله، قطر الندى، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1963.
35. ابن هشام، أبو محمد، مغني اللبيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، د.ت.
36. ابن يعيش، موفق الدين علي، شرح المفصل، عالم الكتب، د. ت.

Syntax between Grammatical Illusion and Linguistic Reality

HUDA Mohammed GRERA

Atef fadel Mohammed

Abstract:

The great efforts of grammarians positively contributed to establishing the rules of grammar and syntax, and this can not be denied. However, we can say that some patterns of these methods have been mentally oriented in their approach and structure, becoming entangled in mental mathematical hypotheses, which leads us to say that it is an illogical syntax.

This is a new perspective, which does not mean rebelling against the old; as antiquity and novelty are relative terms. The new perspective is based on examining the grammatical credit in particular and the linguistic one in general, and the same is the case about the necessity of simplifying grammar, as it is closely related to authenticity, which does not mean confining oneself to the old and being satisfied with it, nor rejecting everything new.

The serious issue is that some minds have become ossified; accepting all that is old and entrenching themselves in it, whereas others have rejected the old entirely and embraced the new with its good and bad. Confining oneself to the old leads to rigidity and stagnation, whereas embracing only the new results in disconnection and evasion.

The aim is to answer the question: Is grammar a means or an end in itself? If it is an end in itself, then grammarians can set whatever rules they want based on mathematical logic, but if it is a means, what is the purpose of this means?

The research will address several grammatical methods using a descriptive-analytical approach, describing the linguistic phenomenon as it is, then considering the grammarians' opinions on it, analyzing those opinions to reach what it has termed as unconscious syntax without distorting those opinions.

The research has several results; the most important of which is very significant: the renewed view of grammatical issues is possible, not unbearable. It comes from conscious handling of grammatical rules to reach broad horizons in linguistic study, generating insights that contribute to facilitating grammatical issues.

Keywords: Grammar, Syntax, Illogical Syntax, Grammatical Illusion, Linguistic Reality